

- فرج عبو / دراسة نقدية لأعمال بعض الفنانين العراقيين والعرب من كتاب الفنون التشكيلية والثورة / الجمهورية العراقية- وزارة الأعلام / بغداد ، دار الحرية للطباعة، 1976م.  
تأليف عبدالله الخطيب



شكل (46) غلاف كتاب الفنون التشكيلية والثورة، يحمل إهداء المؤلف عبد الله الخطيب للفنان فرج عبو ، بغداد في 1977/1/1م. ( الى أول إنسان وضع بين أنامله الفرشاة، وأول إنسان فتح عيني على اللون، الأستاذ الفنان الأديب فرج عبو، مع الحب والأحترام، والأعتراف بالجميل).

### نص المقال:

#### التجربة والأسلوب التجريدي في اعمال فرج عبو

الفنان فرج عبو من رواد الفنون التشكيلية والادب المسرحي في العراق حيث الف وأخرج في الاربعينيات مسرحية - المال والبنون - ايام كان معلما للرسم في مدينة الحلة ، ولست أدري لم أسقط الاستاذ فرج تلك الحقبة الغنية بأنتاجه الأدبي والفني من مجرى عمره وایامه ، على كل حال أنها حية باقية في قلوب طلابه ، وقد اخرج ايضا في تلك الحقبة عددا من المسرحيات الوطنية والعالمية منها المثري النبيل وغيرها حيث نال اعجاب المتقنين آنذاك .

لم يسعفني الزمن في مواكبة تطور الفنان فرج في النواحي الفنية حيث انقطعت صلاتي بجمعية الفنانين العراقيين منذ زمن بحكم ظروف العمل ، وقد كان يعمل في تلك الايام في جو فني يكاد يكون محصورا بين القواعد الكلاسيكية الفنية وبعض الاتجاهات الفنية المبعثرة الأخرى اللى كان - يخيل - الى أى ناقد فني او متذوق للفنون التشكيلية ان من الصعوبة بمكان ان يتمكن هذا الفنان الصامت من نقل قدميه الى ارض اخرى ارحب من الارض التي يقف عليها الا ان روح الفنان فرج تلك الروح المملوءة بالحب والحركة والامل روح الاربعينات ، روح الشباب انبعثت بثوب جديد مضيء ، يفوح منها الجد والاخلاص بلا تعب او كلل او خوف من أي شيء او على أي شيء . يظهر من معرض فرج الاخير ، ان تلك الروح المعطاء كانت مقيدة في حبوس نفسي مرهق، الا أن الجرأة دفعت فرج وكانت تلك الدفعة طفرة صاحبته صرخة مذهلة تشوبها مقاطع من لغة غير مفهومة.

أن من اصعب الامور الحكم على معرض يحتوى على هذه الكمية من الصور التي رسمت او انتجت بدافع (التحدى) تحدى النفس والنقد والقصور الذاتي والموت ، أنها تكون في مجموعها ثورة فكرية (ذاتية) وتقنية في ذات الفنان ولكنها قامت على أسلوب قديم ، ذلك الاسلوب الذي يكون فيه خط الثورة الذاتية لولبيا لايمكن تشخيص البداية أو معرفة النهاية أو حصر الهدف منه و توضيح الغاية.

ان تجريدات الفنان فرج عبو كانت رصينة وقائمة على تجارب ثانية عميقة وصادقة وسبب رصانتها الجهد المبذول في تنفيذها والحس العميق بالوجود وصدق الرؤية الذاتية للعلاقات الفكرية أو النفسية التي تربط الفنان بالآخرين والاشياء والكونيات . وهذا الموقف المتكون من الحس والرؤية هو التجربة التي تدل على حيوية الفنان وثورته الفكرية - الذاتية - والتي حاول فرج التعبير عنها بجهد وجد.

وذلك لاختلاف النظر بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والمجتمعات الانسانية وعدم الاعتراف بالفعاليات الذهنية التي تقوم على الاشكال الهندسية الجامدة البعيدة عن التفاعلات الاجتماعية اليومية وأبعادها المختلفة التي نبذها التجريديون تخلصا منها لقدرتها على امتصاص صفاء أذهانهم الذي يحتاجه التجريديون في تاملاتهم ولاعتقاد أصحاب النظرية الاجتماعية ، من ان كل محاولة لوضع الحقيقة في إطار من الاشكال الهندسية تؤدي حتما الى هدمها لان الوجود الحق للحقيقة هو عبارة عن التفاعل بين الانسان والمكان والزمان. لا في التأمل الصوفي أو الخطوط الهندسية المجردة ونحن لا ننكر على ان الانسان المعاصر يحتاج في كثير من الاحيان الى سلوك تجريدي تخلصا من بعض العلاقات المعقدة التي كونتها الروابط الحياتية في البلدان الراسمالية امتصاصا لإحساسات كثيرة واسعة وعميقة في النفس البشرية والتي لاتدل على شيء معلوم بل تشمل حالات عمومية شاملة تعكس بعمق تأثير الارتباطات الحديثة المجعدة للجهاز

العصبي للانسان المعاصر ، لان التفكير التجريدي ، او الاسسى التجريدية في التفكير على ايجاد المبررات ( الوهمية ) او لكل حدث أو أزمة على انفراد ، ولصق كل مبرر بهيكل فكري عام ( مطلق ) وبذلك يخرج الحدث من مجال عمل الانسان ، فيرضخ ويستكين وفي الرضوخ ( احيانا ) يشعر الانسان بالراحة النفسية . لذا كافح اصحاب النظرية المضادة للاسلوب التجريدي كل منهج فكري أو فني يخدم الرأسمالية أو البرجوازية ومنها الاسلوب أو النمط التجريدي ، وتحاول تغيير الارضية التي يقف عليها انسان النمط البورجوازي لكي ينتفي الميل الى التفكير التجريدي او أي تفكير هروبي اخر.

لذا شعر بعض الناس بالارتياح لبعض صور فرج ، وبالوحشة آخرون لصعوبة التحام النفس معها بالرغم من سمو التكنيك اللوني والهندسي في أغلبها ، واحس البعض الآخر بالغرابة بالرغم من مثاليتهم الفكرية ، وآخرون (بالاحساس) الذي يغمر النفس المرهفة امام الاشياء الفارغة بالرغم من التوليفات الممتعة وهذا دليل على نجاح المعرض.

حاولت بعد هذا كله تطبيق خطتي السابقة في النقد الفني على معرض فرج التي تقوم على النقد البصري والنقد الباطني للعمل الفني ، الا أن هذه الطريقة فشلت أمام اكبر معرض أقيم في بغداد لنمط التجريد حسبما اعتقد ولو فرضنا أن مفهوم النقد البصري هو تناول كل ماتراه العين فيمكن القول بصورة اجمالية أن جل الصور كانت مدروسة هندسيا وقد بذل فيها الفنان جهدا صادقا بعد الانتهاء من (التخطيطات) العفوية الأولية لها . ولاتشذ من هذه الفرضية، الاصورة واحدة وهي الصورة الغربية في المعرض والتي تحمل اسم (الجامع).

حاول عبو جاهدا أن يبرز جوهر الشيء في العمل الفني ونظرا الى العلاقة الباطنية التي تربط بين مضمون ووظيفة الشكل العام للعمل الفني الذي لا يتم الا بجزئياته واصرار الفنان على تلك الجزئيات لذلك كان من الصعوبة تثبيت الكلي كتجربة مطلقة وعمومية بالرغم من محاولة التأكيد على الجوهر ولم يسعفه استغلال فعالية اللون وقوة الخط الهندسي في تغطية وابرار عنصر التجربة الاساس . وهذه هي الصعوبة التي تقف بثبات في الاسلوب التجريدي ازاء الناقد اذا حاول ان يقيم الباطن ومحتواه – من ناحية النقد الباطني - وبالاخص اذا كان الفنان غير متمكن من معالجة التجربة ورفعها الى مستوى الاطلاق والعمومية ، فيكون اسلوبه - عفوي ذاتي محض – لذلك من العسير تقييم محتوى الصور في مثل هذا الاسلوب ومن الخطأ في مجال النقد أن يطلب من الفنان شرح المحتوى الذاتي لصوره التجريدية لان أعياها لا يعرف لها مضمونا موضوعيا لعدم اصالة الفكر التجريدي فيها ، فتصبح الصور التي رسمت بهذا النمط كالصور النسبية التي تشكلها الغيوم في السماء ، بينما الاتجاه التجريدي الفلسفي أو الفني يكون بعيدا عن العفوية جامعا جوهر الاشياء المتقاربة في جوهر واحد صلد ثابت يمثل المحض والمطلق ، علما بأن الانسان لا

يحتاج في متناقضاته الحضارية المعاصرة الى التفتيش عن المحض او غيره بقدر ما يحتاج الى فهم ما يحيط به من عوامل حياتية تكونت كنتاج عرضي لتطوره الحتمي.

ثم أن التجريد ليس سلب الشيء صفاته الدالة ، بل هي توحيد تلك الصفات حتى يصل ذلك التوحيد الى الاطلاق أو الكلي المطلق ، التي لا تعرف الفلسفة المثالية بتغييره تبعا الى تغيير جزئياته المحذوفة خطأ - فيكون الاطلاق دالة منقولة من الفرد الى المجموع أو من الجزء الى الكل هذا من الأساس الاول الذي يقوم عليه التجريد التركيبي أو التحليل للرمز المطلق الذي يحدد الجنس المقصود بلا حدود أي يخرج من الحيز المحدد بابعاد الى اللا بعد أي من المكان الى الزمان - الخلود - الوهمي هذا جوهر الفلسفة التي بشر بها رائد الفلسفة (سقراط) والذي قاومه السفسطائيون واكدوا في فلسفتهم الواقعية استحالة الوصول الى الكلي المشترك والذي أكد قولهم (رسل) من فلاسفة القرن العشرين بقوله أن الكليات رموز ناقصة غير ذات معنى كامل حتى تجد الافراد الجزئية التي تجعل لها معنى فهي بذاتها ليست بذات معنى ، لان الانسان كما قال ( ديا كريشنا ) الواعي لذاته لايملك الا ان يشعر بوجود - الآخر - باعتبار انه يقف في مواجهته لكنه قد لايتبين بوضوح كاف أو يقين ما عساه أن يكون هذا الآخر بل ماعساه هو نفسه ؟ أن التفاعل العضوي بين الفنان والآخرين بين الفنان والحياة ورغبة الفنان في دفع الحياة الى الافضل هي الذي يوضح ماهية ذلك الآخر ويحدد موقف الفنان من نفسه والآخرين والحياة ، هذا اذا اعتبرنا الفن للحياة واعترفنا بأن الانسان يوجد في عالم يخضع دائما لنظام - اجتماعي - والى حد كبير له مغزى اجتماعي وهنا يظهر أثر الفنان لانه بالرغم من النظام والمغزى الاجتماعيين اللذين يجدها الانسان جاهزين امامه فأن عليه ان يعيد هذا التنظيم وذلك المغزى مرة اخرى من خلال نظرتة الخاصة .

يؤكد النقاد الكبار ، المعاصرون على أن الفن ضرورة وقسم منهم حدث تلك الضرورة بالمجتمع قبل ان تكون ضرورة سيكولوجية بحتة وخاصة بالفنان. اي بصبح الفن ضرورة اجتماعية وقد اثبتت البحوث الدقيقة ان الانسان القديم لم يبت خطوطه ورسومه وصوره على جدران الكهوف الا بعد ان استانس الى ابناء جنسه ، وقد تطور ذاك الاستئناس الى ضرورة عبر تحولات اجتماعية ونفسية معقدة ، أي بعد ان تنير الشعور بالغرابة الى انجذاب نحو الآخرين بدلا من النفور الا ان بعض الافراد يفهم من هذا الاتجاه من النقد الفني أو الادبي اخضاع الفنان أو الاديبي الى قوالب جاهزة وقديمة تفقده حريته ، بينما المطلوب هو اعتراف الفنان بارتباطه بالمجتمع ومحيطه ونفي اغترابه ، ذلك الشعور الذي هو اساس انطواء الفنان على ذاته وفقدان حريته - اخيرا وشعار - الفن للفن - اذا ما احتج به البعض فيقول عنه - أرنست فيشر - هو محاولة وهمية للافلات الفردي من الدنيا البورجوازية الرأسمالية وهو في نفس الوقت تأكيد المبدأ السائد في

هذه الدنيا مبدأ ( الانتاج للانتاج ) - ثم أن على حسب قول ( كولنجوود ) العمل الفني ليس جسماً أو شيئاً يدرك حسياً بل هو فعل يقوم به الفنان وهو ليس فعلاً صادراً عن - جسمه أو عن طبيعته الحسية ، بل هو فعل قد صدر عن وعيه ومن هذا البيان تنبعت مشكله خاصة بصلة الفنان بجهوده ويبدو أن قيام الفنان بتوصيل تجربته الى الآخرين جانباً عارياً من عمله ولكي يحقق ذلك ينبغي أن تتوفر له سبل الاتصال، بهم وهذه السبل عبارة عن اجسام واشياء يمكن أدراكها حسياً كاللوحه المرسومة أو الحجر المنحوت أو الاوراق المكتوبة وماشابه ذلك ثم يؤكد (كولنجوود) على أن الفنان لن يكون فناً الا اذا امكنه النجاح في التأثير في جمهوره في نواح معينة - أي أن العمل الفني هو جسم وشيء يدرك حسياً وما يجعله جديراً باسم العمل الفني هو قدرته على احداث الاثر المطلوب في من يتذوقه ومن ثم تكون صلة الفنان بجمهوره امراً اساسياً في اعتباره فناً - وهذا لا يتم الا اذا استوعب الفنان أهمية وجوده الاجتماعي والتاريخي وبذلك يتمكن من التعبير عن اشياء كثيرة بوضوح اما البحث عن الجوهر أو العرض والفيض فلا يمكن التوصل الى أي شيء من ذلك عن طريق العزلة والتعبير التجريدي ، بل يمكن ذلك عن طريق ايجاد او خلق روابط ديناميكية بين العرض والجوهر عن طريق التأكيد الفني على التفصيلات الضرورية لان المطلق لا يمكن التوصل اليه عن طريق التحريف في المنظور او الاعتماد على الخطوط الهندسية والتوليفات اللونية كما قال عن ذلك ( فينتوري ) لاتحريف صور الاشياء الطبيعية بغية الوصول الى تمثيل الجوهر والحقيقة والمطلق في اثار الفن مما ادى الى ظهور تلك الاشكال المستحدثة والتي لاتمت بصلة ما الى نماذج موجودة بالطبيعة في كثير من الاحيان ويعرف هذا الاتجاه باسم - الفن التجريدي - الذي يؤكد عبثاً (هيسرل) على وحدة الفعل والجوهر والمحسوس والمجرد فيه ، وفكرة التجريد هذه قد تعرضت في تاريخ تطور الفلسفة لتغييرات مستمرة عبر القرون الماضية ولقد كان (افلاطون) أول من تحدث عن الحقيقة فوصفها بها جهاز افكار مجردة عن الواقع ولكن (ارسطو) جاء بعد ذلك ليعارض مبدأ التجريد وليرد الحقيقة الى الواقع ، وبهذا المعطى للافكار - قيمة شكلية - أي ارجح سمات تفصيلات الشيء ليدل على ماهيته التي لا يمكن بأي حال من الاحوال انفصالها عن واقعها المادي والتاريخي لان الاشياء مرتبطة ارتباطاً وجودياً بمادة ماهيتها المربوطة ربطاً وثيقاً او وجودياً ايضا مع الوجود المادي.

ومع كل هذا فان الذين يدعون الى التجريد جملتهم انسانيون ومنهم ، الاستاذ الفنان فرج عبو الا انهم - مع الاسف - فقدوا الثقة بالانسان فكان التجريد احد ابواب الخلاص الروحي لهم من العذاب أو الشعور بالهجر والاغتراب والالام أو الميل للتصوف والابتعاد عن تفاصيل الحياة اليومية ، يقول الشاعر ( أبو لونير ) عن التجريد - ان القيم التشكيلية والصفاء والوحدة والحقيقة انما تنوسد طبيعة ساكنة والفنانون هم

فقط أولئك الذين يرتفعون على إنسانيتهم ويسعون إلى إبداع رموز من وحي عالم مافوق الإنسانية من صنع الطبيعة تلك الرموز التي يرون فيها الحقيقة - أن هذا مجرد تصور إلا أنه من الإنعام المريحة لأعصاب إنسان القرن العشرين ، أو أن هذا حنين إلى دفاء السلام الإنساني والحرية والأمن.